جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

جدلية الحضور والغياب في ديوان (أروقة الغياب) للشاعرة أحلام منصور القحطاني

"The Dialectic of Presence and Absence in the Poetry Collection Corridors of Absence by the Poet Ahlam Mansour Al-Qahtani"

إعداد

د . رانيه عبد الحميد الرفاعي

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية، كلية العلوم والآداب، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الخامس (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

جدلية الحضور والغياب في ديوان (أروقة الغياب) للشاعرة أحلام منصور القحطاني

رانيه عبد الحميد الرفاعي

قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية، كلية العلوم والآداب، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : *ralrefae@kau.edu.sa*

الملخص:

تتناول الدراسة جدلية الحضور والغياب في ديوان (أروقة الغياب) للشاعرة أحلام منصور القحطاني، وتهدف إلى الكشف عن تقاطباتها بصفتها أحد الظواهر البارزة في الديوان، وتكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول أشكال التعبير عن ثيمات الحضور والغياب من خلال المنهج الوصفي التحليلي للنصوص، وتسعى إلى سبر أغوار دلالاتها في النص، ومدى تعالقها مع نفسية الشاعرة، وبيان مدى قيمة الثنائيات في تشكيل جمالية النص وإبراز قيمته الفنية؛ للوصول لبؤرة النصوص والغاية المنشودة فيها، وجاءت دراسة تقاطبات الحضور والغياب في ستة فضاءات، هي: (فضاء الذات – فضاء الأنثى – فضاء الرجل – فضاء المشاعر – فضاء الزمان والمكان– فضاء اللغة)، ثم خلصت الدراسة إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج، أبرزها: تجلّت جدلية الحضور والغياب في فضاءات مختلفة؛ مما يثري الدلالة ويعزز المعنى، كما عبّرت الشاعرة في فضاء الذات عن حضور ذاتها واستقلاليتها بالضمائر المنفصلة والمتصلة، بينما كان توظيفها للغياب مقننا بعيدا عن الذات بصفة مباشرة، إضافة إلى تباين مواقفها في فضاء الرجل عند الحضور والغياب من خلال جانبين مهمين، أولهما: إبراز كينونة المرأة حتى عند غياب الرجل، وثانيهما: عدم إقصاء الرجل وحرصها على حضوره في حياة المرأة.

الكلمات المفتاحية: جدلية، الحضور، الغياب، ديوان أروقة الغياب.

"The Dialectic of Presence and Absence in the Poetry Collection Corridors of Absence by the Poet Ahlam Mansour Al-Qahtani"

Rania Abdul Hamid Al-Rifai

Department of Islamic Culture and Language Skills, College of Science and Arts, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia

Email: *ralrefae@kau.edu.sa*

Abstract:

The study addresses the dialectic of presence and absence in the poetry collection Corridors of Absence by the poet Ahlam Mansour Al-Qahtani. It aims to uncover its intersections as one of the prominent phenomena in the collection. The significance of the study lies in its examination of the forms of expression of the themes of presence and absence through the descriptive-analytical method of textual analysis. It seeks to explore their connotations within the text, their relation to the poet's psyche, and to demonstrate the value of binaries in shaping the aesthetic of the text and highlighting its artistic merit; ultimately, to reach the core of the texts and their intended purpose.

The study of the intersections of presence and absence was conducted across six spheres: (the sphere of the self – the sphere of the feminine – the sphere of the male – the sphere of emotions – the sphere of time and space – the sphere of language). The study concluded with a summary of the main findings, most notably: the dialectic of presence and absence manifested across different spheres, enriching the semantic depth and reinforcing meaning. In the sphere of the self, the poet expressed the presence of her selfhood and independence through the use of both independent and attached pronouns, while her employment of absence was carefully regulated, remaining indirectly related to the self. Additionally, her stances in the sphere of the male varied regarding presence and absence through two significant aspects: first, highlighting the woman's ontological existence even in the absence of the male; and second, not excluding the male and maintaining his presence in the woman's life.

Keywords: *Dialectic, Presence, Absence, Corridors of Absence.*

المقدمة

إن جدلية الحضور والغياب قائمة على فكرة الثنائيات الضدية، والوجود كله ليس يخلو في جوهره من تلك الثنائية المتضادة التي تبرز قيمة الأشياء من حولنا، وتدعونا إلى إعمال العقل في تفسيرها، وتمييز محاسنها وعيوبها.

وتبرز في الظاهرة الشعرية دلالات الحضور والغياب التي يمكن تتبعها من خلال علاقاتهما في النص الشعري، فالنص الحاضر تقبع وراء تشكيله اللغوي ورموزه الكتابية عناصر غائبة يسعى المتلقي إلى فك شفراتها واستكناه معانيها، فالنص الغائب من خلال فعل القراءة "هو كل ما لم يقله النص صراحة، ولكنه كامن فيه، وعلى الناقد أن يحضره إلى عالم الإشارة من خلال نظام الكتابة أو من خلال السياق"(١).

وتُشكِّل جدلية الحضور والغياب ملمحًا بارزًا في ديوان الشاعرة أحلام القحطاني، إذ تستوقفنا لفظة الغياب منذ العتبة الأولى عتبة العنوان الموسوم بـــ(أروقة الغياب)، وما يميز هذا الديوان اشتغال النص الشعري فيه على هذه التقاطبات؛ مما يحفز القارئ على الغوص في أعماقه، واستكشاف الدلالات الكامنة في بؤرته، والمعاني القابعة خلف مفرداته.

ويمكن مقاربة ثنائية الحضور والغياب في الديوان من خلال عدَّة فضاءات: (فضاء الذات – فضاء الأنثى – فضاء الرجل – فضاء المشاعر – فضاء الزمان والمكان – فضاء اللغة).

---

(١) بسام قطوس ، تمنع النص متعة التلقي: قراءة ما فوق النص، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٢م ، ٤٥

١- فضاء الذات:

يتمحور هذا الفضاء حول حضور الذات وغيابها، هذه الضدية التي من شأنها أن تكشف عن خبايا الذات وعلاقتها بمن حولها.

إن كينونة الذات ورغبتها في حفاظها على سلطتها العليا هي جزء من فطرة النفس البشرية التي لا تسمح للآخرين بفرض قيود عليها، لأن الذات تواقة إلى الحرية، وإلى امتلاك زمام أمورها بنفسها، تقول الشاعرة في قصيدة (أروقة الغياب)[١]:

أنا لي كوني
وملكي الذي عزفته الأناملُ
لي روعة الأصدقاءِ،
ودنيا المحبيِّنَ، أحضان قومي التي وهبتني سهمًا معلَّى!

إن ابتداء المقطع بالضمير المنفصل (أنا) يدل على رغبة جامحة من الشاعرة في حضور الذات واستقلاليتها، كما أنها من خلال الضمير المتصل (لي) تؤكد على حضور الذات المستقلة التي لها خصوصيتها وكينونتها وملكيتها، وأصدقاءها ومحبيها، في حين أننا نجد الذات الشاعرة تعود في آخر المقطع إلى الجماعة؛ لتؤكد حضورها بشكل أقوى في قولها :(أحضان قومي)، ومفردة القوم تحمل دلالات الفخر والاعتزاز بالانتماء، كما أن خصوصية لفظة (أحضان) تفتح بابًا من الاطمئنان، والدفء، والملجأ لهذه الذات.

---

(١) أحلام منصور القحطاني، أروقة الغياب، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م، ٤٤

وفي قصيدة (اشتهاء الحزن) نجد حضورًا للذات بالضمير المنفصل في قولها[١]:

هذي أنا..
موجوعةٌ..
مهمومةٌ..
مسكونةٌ بالبوح..
مرهقةُ الخيال!

إن هذا الحضور المنفصل للذات يخبرنا بوعيها، فهي تستنفد كل الكلمات؛ لتعبر عن حالتها، واختارت الشاعرة الأنا المنفصلة المسبوقة باسم الإشارة؛ لتؤكد على حضورها، وتشرع في إظهار ما بداخلها من أوجاع وهموم، إن تفنيد الذات بهذا الشكل يعطي المتلقي دفقة شعورية تفاعلية مع الشاعرة كون الذات تمر بحالات شعورية متفاوتة ومتغايرة بحسب ما يطرأ عليها من شؤون الحياة، وهنا تمر الذات بحالة من الحزن أو الألم، فكان البوح لأنا الشاعرة في هذا المقطع.

كما تلوح الذات الشاعرة بالحضور حينما يحضر الإبداع الفني وخاصة الشعر، تقول[٢]:

أنا لي شعري
ألوذ به،
وأبوح له،
وأغني عليه الأسى والمنى،
وأسافر فيه..

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٣٦-٣٧
(٢) المصدر السابق ، ٤٥

أعانق في كل ثانية ألف ذكرى..
وأمسي بدونك أغلى وأغلى!

إن تجلي الذات وتوحدها وانفرادها في عالم الشعر – ذلك العالم المخملي المليء بأفانين الخطاب النفسي، والممزوج بالبوح الوجداني والروحي – يظهر مع بداية المقطع حيث نجد الشاعرة بدأت بالضمير المنفصل (أنا) ثم ألحقته بالضمائر المتصلة (لي) و(شعري)، فحضور الضمير والتصاقه بكلمة شعري دلالة عل حضور قوي وارتباط لا ينفك، وحضور الشعر هو حضور الذات، ففيه تجد الشاعرة عالمها الخاص ذلك العالم الذي تحلو فيه الأمنيات، وتبوح النفس بأسرارها، وتسترجع فيه ذكرياتها.

أما من ناحية غياب الذات الوجه المقابل للحضور، نجد أن غياب الذات في كثير من المقاطع تكنيك استراتيجي استخدمته الشاعرة؛ لتوظفه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في نصوصها؛ تتطلع فيه الذات الغائبة إلى انفتاح النص على كثير من التأويلات والإيحاءات والإشارات، ففي إحدى القصائد يكمن غياب الذات كشاعرة في غياب إبداعها الشعري، تقول[١]:

أحب؟!
نعم.. كم أحب!!
لأني حين أكف عن الحب أحيا..
ولكن شعري ي م و ت ..!

إن غياب الحب يعطل القدرة على البوح الشعري والتدفق الإبداعي، فعملية الإبداع الفني تنتج عن باعث مُلح ودفعة شعورية قوية تؤجج الإلهام، وإذا فُقدت ضعف الإبداع وخبا، وانطفأ أواره حتى يغيبه الموت، فالغياب هنا هو غياب الذات

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٩٧

الشاعرة من ناحية الإبداع فقط، وكأن الشاعر ترفض إلصاق الغياب بها، وتغييب ذاتها كليا، يظهر ذلك في لفظة (أحيا.. ولكن شعري يموت).

وترسم الشاعرة ملمحًا آخر للغياب تمثل في غياب التوهج العاطفي المتعلق بالذات، في قولها[١]:

وأخطئ..
أعثر في طرقاتي نحو رضاك..
فكنت تسمي سلوكي (زلة)
وكنت أسميه عثرات (طفلة)
وحين تريد سأبدع في قطف روض هواك..
ولكن ضوئي الذي كنت تعشقه س ي غ ي ب!

يتغير موقف الذات في علاقتها مع الآخر عند شعورها بضغط نفسي تقع فيه تحت وطأة تأويل تصرفاتها بحسب هوى النفس، وتفسيرها بما لا تحتمله، فشتان بين ما تراه الشاعرة (عثرات طفلة) وبين ما يراه الآخر (زلة)، فاختلاف وجهات النظر يجعل الذات المتوهجة بالحب تخفت، وهالة العشق تنطفئ، وهنا يقع الغياب.

٢- فضاء الأنثى:

يحقق الديوان فضاء آخرًا لثنائية الحضور والغياب يكمن في حضور الأنثى[٢] وغيابها، وفي هذا الفضاء يستشعر القارئ ارتباطًا روحيًّا قويًّا واتصالًا مشاعريًّا عميقًا، يشتد بالحضور ولا ينفك بالغياب.

---

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٩٧-٩٨

(٢) الأنثى: الجدة، الأم، الأبنة

ومن أبرز صور غياب الأنثى في الديوان هو غياب الجدة الذي وجدناه يتصدر الديوان، تقول الشاعرة في صفحة الإهداء:" إلى جدَّتيَّ فاطمة وموضي وهما تغيبان عن أروقة حياتي"(١).

ولم يكن الإهداء في مقدمة الديوان كافيًا لتضميد جرح الغياب، بل نظمت قصدتين تبوح فيهما بوجع الرحيل ومرارة الخسارة والشعور بالفقد، ففي قصيدة (جدتي ..حين تأبين الغياب) أوضحت الشاعرة أنها إهداء بقولها:" إلى جدتي موضي رحمها الله" :

أَمُتِّ ؟!
أَوْارَوْكِ في عَتَماتِ التراب؟!
أغبت؟!
وذا طيفك القزحي..
يراقص روحي..
ويأبى الغياب!
وما زال دفء وجودك
"طعم الثريد"
ورائحة لشذاك..
تعم الرحاب! (٢)

وفي قصيدة (فقدان) تقول:" إلى جدتي فاطمة رحمها الله! "(٣):

أعيش بغصة فقدي

---

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٥
(٢) المصدر السابق، ٥٣
(٣) المصدر نفسه، ٥٥

وأخفي دمعتي وأنوح
أناجي روعة الذكرى
فأغدو حولها وأروح

وفي المقطع الأخير تزداد وتيرة الألم في قولها[١]:

تعالي جدتي إنِّي
بدونك قد فقدت الروح

إن تردد العقل بين مرارة الغياب وأمنية الحضور ذهابًا وإيابًا أحد الأمور التي تواجه الإنسان عند صدمة الفقد، فتتلاشى حقيقة الغياب، وتبرز رغبة مرجوة في الحضور، وكأنه رفض العقل لاستيعاب الموقف، ومن هذا التصور نجد كثيرًا من الشعراء قد جادت قرائحهم بقصائد في فلسفة الحياة والموت، وما فيها تقاطبات البقاء والفناء، والحركة والسكون، والحضور والغياب.

وفي الأبيات السابقة تأخذ ثنائية الحضور والغياب في التشكل والتشعب بداخل النص، فغياب وموت الجسد يقابله حضور الطيف وأوشاج الذكريات، وبالتالي " تبدأ مستويات الحضور والغياب بالجدل ضمن أفق الاختلاف، وذلك حين يمد الدال بدلائل لا نهائية من المدلولات التي توفرها الكتابة"[٢].

وتنحى الشاعرة نحو خصوصية عالية، ومشاعر إنسانية مكثفة في قصيدة (ضلال الروح) التي تخاطب فيها والدتها، تقول[٣]:

---

(١) أحلام منصور القحطاني، أروقة الغياب، ٥٨

(٢) عبد الله إبراهيم وآخران، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، ١٢٠

(٣) أحلام منصور القحطاني، أروقة الغياب، ٥١

وإن أفل الكون لا تأفلي
فأنتِ الصديقة
أنتِ الحبيبة
أنتِ الأمومة
أنتِ الأمان

تحاول الشاعرة من خلال النص تجسيد مدى عمق العلاقة بين الأم والابنة، وقد وظفت أسلوب النهي (لا تأفلي) رفضًا للغياب، وخوفًا من الفقد، في مقابل أفول الكون، وهذا انعكاس نفسي للرغبة في خلود صورة الأم، والفزع من غيابها، مما جعلها تتثال بتكرار الضمير (أنتِ)؛ لتأكيد حضورها، متبوعًا بكل ما يشعرها بوجودها في محيطها، فهي (الصديقة والحبيبة والأمومة والأمان).

وكذلك نلمس شيئًا من علائق الحضور في خطابها لابنتها (يارا)، في قولها[١]:

خذي فؤادي ستلقي نبضه ولهًا
وأمتعيه أغاريدًا وإبحارا
خذي حناني، خذي عطفي، خذي شجني
وعاااااانقيني طوال العمر يا يارا

إن رمزية العطاء والتضحية (خذي) في مقابل البقاء (عاااااانقيني طوال العمر) تحمل كثيرًا من الوشائج العاطفية والدلالية في سياق الخطاب؛ لا سيما وأننا نقف أمام أصدق وأطهر عاطفة في الوجود، وهي عاطفة الأمومة، فالخطاب الملفوظ هنا ينثني على معانٍ مُلحة للحضور الدائم – المتمثل في لفظة

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب، ٥٢

(عاااااانقيني)- كالقرب والالتصاق، والبقاء وعدم الغياب، وما يتبع هذه المفردة من مشاعر كالحب والدفء والأمان وما إلى ذلك.

٣- فضاء الرجل:

إن تشكل الدلالة الثنائية وتخلُّقها في صفحات الديوان يومئ إلى سراديب الذات، وتفاعلها مع محيطها، وطبيعة تعاطيها مع كل من حولها، وتأثُرها بهم حضورًا وغيابًا، إيجابًا وسلبًا، ويتضح ذلك في تعبيرها عن غياب الرجل في قصيدة (لا أحب الآفلين)، تقول[١]:

عُد سريعًا
دع دروب الراحلين..
لا تغب عني وتأفل..
لا أحب الآفلين!
عُد لقلبي..
عُد لحرقات الحنين..
عُد لشعري ولحوني..
إن صوتي ..ساحر عذب الرنين!

تركز مسار النص على الإلحاح في استدعاء الحضور في حالة الغياب، وتمثل ذلك في أسلوبي النهي (لا تغب) والأمر (عد سريعًا) وفي المفردات (قلبي- حرقات الحنين- شعري- لحوني)، وتعكس المعطيات اللغوية للنص حالة القلق من الفقد والغياب.

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ١٠٧

لكن هذا الغياب لن يكون مؤثرًا إذا كان يمارس سلطته على مشاعرها وكينونتها، تقول في قصيدة (أروقة الغياب) [١]:

ستنطفئ الروح
تعتاد بعدك
ترتاد أروقة لغيابك
تشرع نافذة الصمت
تعلن أن زمن المحبين ولى!
.. .. ..
أنا لست ملكك
لست رهينة حرفك،
قلبك؛
ذاك الذي يتقلب؛
يومًا يحب، ويومًا يكِلُّ،
ويومًا يعاقب..
كلاّ وكلاّ!

إن المرأة في إبداعها الأدبي لم تكتب ضد الرجل" بل تكتب ضد إيديولوجيا السلطة الذكورية، فـ (النسائي) في الخطاب الأدبي العربي يضمر معنى الدفاع عن الأنا الأنثوية بما هي ذات لها هويتها المجتمعية والإنسانية"[٢]، وفي النص السابق

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٤٣-٤٤

(٢) يمنى العيد، الرواية العربية، المتخيل وبنيته الفنية ،دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١ ، ١٤٦

تسعى الشاعرة إلى إبراز الأنا الأنثوية بحضورها الفاعل، ومكانتها التي ترفض الاستسلام لحالة الضعف عند غياب الرجل، أو أن تكون محكومة بتقلبات مشاعره.

وفي مقابل ذلك نشعر عند حضور الرجل بطاقة إيجابية عالية في ثنايا النص، فهو مصدر الحب والشوق والسحر، تقول الشاعرة في قصيدة (مُقدَّم)[1]:

فديـــــت حباً تجلى في مـــــــــــواكبـــــه
حتى وإن لم تقل حرفاً ولـــــــــــــم تُبنِ
فديت عينيك تحكي الشوق صامتـــةً
تضوع السحر في روحي وفي بدني

٤- فضاء المشاعر:

تجلت في ديوان الشاعرة تقاطبات الحضور والغياب في فضاء المشاعر والعواطف الإنسانية المختلفة، تقول[2]:

"أتحبني؟"
ولففتها بالصمت..
فارتجفت شفاهي ..
أُطْبِقت!
!!
ما كان للحب الخجول بأن يُبَيَّنّ!
فاستَتَر!!
واستيقظت تلك المدينة في جفاف مجدبٍ..
لم يروها قَطْرٌ، ولم يعزف أغانيها وتر!

---

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٣٣
(٢) المصدر السابق، ٢٢-٢٣

يحمل النص نفحة عاطفية إنسانية تم توظيفها في النص بين دلالتي الحضور والغياب، برز من خلالها معنى عميق في بؤرة النص، يتجلى في الدلالة اللغوية وارتباطها بالسياق الشعري، فمشاعر الحب الداخلية الحاضرة –في الذات الشاعرة التي كانت على وشك الإفصاح والإبانة بها– لم تهيئ لها الظروف بالظهور والانكشاف، فبقيت في الأعماق بعيدة عن البوح أو الحضور اللفظي، فكان غياب الحب أو إخفاؤه هنا سيد الموقف (ما كان للحب الخجول بأن يُبَيَّنّ!/ فاستَتَر!!)، ونتيجة لذلك الغياب يظهر في النص حضور للجفاف العاطفي تمثل في الصورة الشعرية (واستيقظت تلك المدينة في جفاف مجدبٍ) .

وفي موضع آخر من الديوان نلحظ غياب الحزن أحد المشاعر الوجدانية، في مقابل رغبة الشاعرة في حضوره واستدعائه، تقول[١]:

أقبل ..تعال!
غلَّقت أبواب الأمل،
أرخيت أشرعة الرجاء،
صفقتُ مأدبة الوصال،
وقلت: يا حزني المبجَّل هيتَ لك..
كلّ الطقوس مهيأة؛
وجعي، ومنديلي، أزيز الجرح،
شمعةُ وجديَ المحمومِ أتعبهُ المُحال!

إن استحضار الغائب/الحزن، وتغييب الحاضر/الأمل هو انعكاس للتناقض الوجداني الحاصل في ذات الشاعرة، فالحزن غائب في الواقع، لكن هناك استحضار له من خلال تهيئة كل الطقوس لاستقباله (الوجع ــ المنديل – أزيز الجرح –

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ،٦٣

الشموع)، حيث جعلت منه حزنًا مبجلًا تنتظره وتستعدُّ له، ونستشف من ذلك أقصى درجات الألم والحزن التي عاشتها الشاعرة في تلك التجربة الشعورية، مما جعلها تعبر عنها في صورة مبتكرة ومضمون عميق.

وفي الغياب تحضر مشاعر الحنين، وتسيطر على الشاعرة، فلم تستطع التغلب عليها، تقول في دفقة شعورية وشعرية[1]:

وظننت سهوا أنني لن أذكُرهْ

وهواه في جفن الندى لن أنشُرهْ

والشوق والدفءُ الحميم عققتُهُ

ويداهُ؛ لمستها الحنون المبهرةْ..

لكنه الشجن القديم يُحيط بي

يا للحنين وفعله ما أخطره!

يجتاح ليلاتي بريقٌ من هوى

ويعيد دقاتي لذكرى مُسكِرةْ

تُصور الشاعرة في النص مشاعر الشجن والحنين حين تحيط بها رغم فعلية الغياب، فهي تجلب معها كل الذكريات، والصور القديمة المخبئة في الذاكرة، والتي كانت تظن أن يد النسيان قد طوتها، فالمشاعر هنا لم تخبُ أو تغب، بل ازدادت قوة وحضورًا ملحًا مع غيابه.

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٨٥

٥- فضاء الزمان والمكان:

يسعى الشعراء إلى توظيف عنصري الزمان والمكان في نصوصهم الشعرية، مما يؤكد على " أن حياة الشاعر بؤرة نفسية يتلاقى فيها المكان والزمان معا " (١).

وتعد مفردات الزمان والمكان ذات جدلية كبيرة في الإبداع الأدبي، تختلف باختلاف رؤى المبدعين لها، وتنتج وفقًا لأحاسيسهم وتصوراتهم تجاهها، ومدى تفاعلهم معها وتأثرهم بها، بالإضافة إلى المعاني التي تكتنزها تلك المفردات في ذاتها، والدلالات التي تكتنفها في السياقات المختلفة والقراءات المتعددة.

والعلاقة بين الزمان والمكان متداخلة، فـــ" الإنسان يتأثر بالزمان والمكان؛ لأنه يعيش في كليهما، فهو كائن زماني أكثر من كونه كائن مكاني، صحيح أن الإنسان يعيش على رقعة محددة في المكان، إلا أنه يعيش في الزمان أكثر من المكان"(٢).

كما أن الزمن إذا التحم بإحساس الإنسان يصبح ذا طابعٍ غير موضوعي، مرتهن بتشكُّلات الذات وانفعالاتها، ففي إحدى قصائد الديوان نلحظ علاقة الشاعرة بالزمن حيث يتغير إحساسها النفسي به عند غياب صديقتها، ويأخذ منعطفًا آخر، فيصبح زمنًا مليئًا بالحنين والحزن، تقول في قصيدة (دثار الحروف) (٣):

تَدَثَّري رفيقتي بأحرُفِ الحنين

---

(١) غاستون باشلار ، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية، بيروت ،د.ط، ٢٠٠٠م ، ٣٧

(٢) عبد الحميد المحادين، جدلية المكان والزمان في روايات عبد الرحمن منيف، مؤسسة الهداية للنشر،البحرين،د.ط، ١٩٧٧م ، ٥٦

(٣) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٦٣

ولهفةِ السّنين
وبالبريق في عيوني حينَ تَخطُرين
ولْيَعْبُرِ الشّتاءَ .. وبعدهُ الشتاء
فنبضُ شِعري دافئٌ
لكنَّهُ حزينْ!

فهنا يتحوَّل الزمن الفيزيائي إلى زمن مشاعري، يظهر ذلك في دوران الأيام والفصول حضورًا وغيابًا، فمع غياب الصديقة يعبر الشتاء تلو الآخر على الشاعرة بوجه حزين، متوشِّحا بالشوق، متدثرًا بالحنين واللهفة.

وحين يحيط الشجن بالشاعرة تبعث أمنياتها ورغبتها في صيغة أسئلة، تقول في قصيدة (سهو)[1]:

ترى أعودُ؟ وهل يعودُ؟ وهل لنا؟
عمرٌ جديدٌ ملهمٌ كي أشكُره!

تتساءل الشاعرة عن زمن جديد يبعث لها الإلهام، وبذلك تخرج هربًا من لحظتها الحاضرة المليئة بالشوق، والذكريات، والهيام الداخلي إلى زمن غائب لم يأت بعد، زمن مستقبلي تمثل في لفظة (عمر جديد) التي تفضي الى دلالات أوسع في الزمن، يشمل عمرًا بأكمله، وفي الوقت ذاته يحمل صفة الجدَّة والإلهام.

ومع تحولات الزمن وتغيراته تؤكد الشاعرة – حين يطول النوى ويزداد الغياب– أن لا شيء سيبقى على حاله، وأن الأيام والسنوات المؤلمة سوف تغيب بلحظاتها الحزينة المليئة بالأسى والشجن، تقول[2]:

---

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٨٦
(٢) المصدر السابق، ١٠٧-١٠٨

عُد لقلبي..
عُد لحرقات الحنين..
...
لا تخف من أي شيء..
إنها الأيام تَبْلَى..
ثم تتلوها السنين..
ثُمّ تنسى يا رفيقي..
كُل لوعاتِ الأنينْ..

تحاول الشاعرة في هذا المقطع تخفيف ألم الغياب، وتسلية النفس بأن الزمن كفيل بمعالجة جرح الفراق، ومعاناة البعد، فالزمن الحاضر لا بد وأن يصبح ماضيًا غائبًا (فـــالأيام تبلى/ ثم تتلوها السنين) وتغيب معها كل المشاعر السلبية.

وإذا انتقلنا للحديث عن فضاء المكان نجده قد تبلور في الديوان بين قطبي الحضور والغياب، بحسب ما يؤسس له السياق في النصوص، فالمكان بصفة عامة " قريب من الإنسان لصيق به، إنه العالم الخارجي الذي يجسد الإحساس بالأشياء، والتعامل معها، والتآلف والانسجام والنفور من بعضها، وتبدأ الأشياء باكتساب خصائص وصفات نوعية تميزها عن سواها بما تمتلكه من خصائص"[١].

ويختلف المكان بحسب رؤية الشاعرة له وتشكيله في فضاء النص، فقد يتحول المكان إلى مكان طللي تقف عليه متأملة، ومتفحصة أثار الزمن عليه، والذات الشاعرة عند "العودة إلى المكان الذي ترك، والمنزل الذي هجر، تغمره

(١) طاهر عبده مسلم ، عبقرية الصورة والمكان ، دار الشروق، عمان ،٢٠٠٢م .١٦٠

بسيل من الذكرى المؤلمة، لما فيها من عودة إلى ماضٍ حبيب، ووجوه أليفة، وعيش هنيء رغيد"[١] تقول[٢]:

ووقفت في ذكرى المكان بلهفةٍ
يا للشَّجى..! يا لارتِباكِ الأمْكِنةْ!

يتأزم الصراع هنا بين الذكريات والواقع، بين الماضي والحاضر، فيمارس المكان سلطته على الشاعرة بذكرياته التي تنثال من عمق الذاكرة، وباللهفة والشجى لمن كان في ذلك المكان، فتمتزج مشاعرها في تلك اللحظة امتزاجًا ينتج عنه ارتباك شعوري، انطبع تأثيره مجازًا على المكان؛ فبرزت صورة المكان الغائب الأليف الذي يرفل بالسعادة والحب، في مقابل المكان الطللي.

وقد يكون المكان حاضرًا لكنه يتحول الى مكان مليء بالثورة والجنون، تقول[٣]:

ألم تمل يا حبيبي سطوة الجراح؟!
وصولة الرياح؟!
وثورة الجنون..
في البيت والبطاح؟!

ترتبط النفس بالأماكن المعاشة بين الإقبال والنفور بحسب ما يُطبع في النفس تجاهها، وألفاظ المكان في النص (البيت /البطاح) مرتبطة بأفعال ساكنيها، وما تحويه من مشاعر عاشها الإنسان فيها، وهنا تعالق مع المكان انفعالات دلت

---

(١) حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي: قراءة موضوعاتية جمالية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د.ط،٢٠٠١م، ٢٠

(٢) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٣٩

(٣) المصدر السابق، ٢٩

عليها ألفاظ (الجراح، والثورة، والجنون)، مما يشي بدلالات معنوية ونفسية، حيث يؤثر الشعور الوجداني على تشكيل لغة النص الشعري، وصياغة مفرداته، فيطلق لنفسه العنان بالبوح والشكوى.

وقد يكون المكان ملجأ للأمان والحب والفرح بعيدًا عن الحزن، وهذا ما نلمسه حينما عبرت الشاعرة عن الوطن بقولها[١]:

أتيتك..
خبَّأتُ كلَّ عناوينِ حُزني..
لأمنحك الحب– يا موطني –
بأحضانِ بسمةْ!
بأحضانِ بسمةْ!

فالمكان هنا حاضر في هذا المقطع تمثل في لفظة (موطني)، ذلك المكان الذي تهفو إليه النفس عند الغياب، وتشتاق عند البعد، فذكر الوطن هنا جعل الشاعرة تستدعي معه كل مفردات الحب والسعادة والدفء، وعند الحديث عن المكان/الوطن يشفُّ التعبير دائمًا عن أصدق المعاني، وأدفأ المشاعر؛ لكونه المكان الأليف الذي يمثل الانتماء، والمكان الذي تنغرس فيه جذور الذات.

٦- فضاء اللغة:

تكمن في اللغة علائق مختلفة تُشكل دوال الحضور والغياب، كما تحمل في سياقاتها المتنوعة مجموعة من الرموز تحيل القارئ إلى استكناه الدلالات الكامنة خلفها، فالنص الغائب هو الذي يمكن أن نستشفه من خلال النص الحاضر عبر معطيات مختلفة من الدلالات والإشارات.

---

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٨٦–٨٧

وتظهر جدلية حضور وغياب اللغة في الديوان عن طريق توظيف ظواهر (الاستفهام، والتناص)، فقد تحضر أساليب الاستفهام لدى الشاعرة بأدواتها المختلفة، وتغيب الأجوبة عليها، ومن ذلك قولها(١):

فقدتُك!

واجتاح حزني المدى

أيلتَئمُ الجرحُ، ينسكبُ البوحُ؟

ينبُتُ قلبُك –قلبي– غدًا؟!

أتُومِض في داخلي رعشاتٌ؟!

أم الحب ولّى.. وشوقي سدى؟

تدخل ذات الشاعرة المحبة في دائرة الحزن والجرح عند الفقد والغياب، وتبدأ في طرح سيل من الأسئلة التي تنم عن رغبتها في الإجابة على تساؤلاتها؛ حتى تطمئن روحها، وكأن حضور الاستفهام في هذا المقطع الشعري في مقابل غياب الأجوبة يكشف عن حالة التيه والقلق التي تشغل الشاعرة على مصيرها ومشاعرها.

وعند صدمة الفقد يصبح الغياب صعبًا وقاسيًا لا يستوعبه العقل، تعبر عن ذلك الشاعرة عند فقد جدتها، بقولها(٢):

حبيبة قلبي ..

أتدرين؟!.."أحلام "كالضائعة!!

أمت؟!

أنا لا أصدق!!

---

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٨

(٢) المصدر السابق، ٥٤

مازلت في صدمة الفاجعة!!

إن توظيف الاستفهام هنا جاء لاستيعاب ما حدث، وطلبا للإجابة، وكأنه رفض لهذا الغياب الذي حضرت معه الأسئلة، فكان حوارا من طرف واحد يقابله صمت الفقيد.

كما يتكرر الاستفهام مع غياب الأجوبة في نص آخر عملت فيه الشاعرة على تكثيف أداة الاستفهام عند غياب صديقتها، تقول[١]:

لو تعلمين أي حزن يبعث الشتاء ؟!

وأي ذكرى تستفز الجرح في المساء؟!

وأي برد يذبل الورود والشجن؟!

وأي قلب حينها يحتاج للسكن؟!

طاقة استفهامية هائلة تنبعث من هذا المقطع الشعري باستخدام أداة الاستفهام (أي) يتبعها مجموعة من الألفاظ المرتبطة بالمشاعر والأحاسيس (حزن يبعثه الشتاء، وذكرى تستفز الجرح، وبرد يُذبل الورود والشجن، وقلب يحتاج للسكن).

وعلى صعيد آخر وفي حديث مع النفس ترسم الشاعرة حالة من التردد والارتباك في البوح بمشاعرها للآخر، فيحضر السؤال والجواب في ذات السطر الشعري، ولعل هذا يشي بالحالة الشعورية التي تمر بها الشاعرة، في قولها[٢]:

أأبوح؟!، لا لا لن أبوح ففي اعترافاتي خطر..

---

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٦٤

(٢) المصدر السابق ، ٢١

كما سعت الشاعرة إلى توظيف الحضور والغياب في ديوانها بدوال متعددة مستخدمة أدواتها الأسلوبية في نصوصها الأدبية، كالتناص الذي يعد ظاهرة أسلوبية تحمل في استعمالها غيابًا للنص الأصلي وحضورًا لدلالته؛ والشاعرة حين توظف التناص في نصوصها هي تستدعي بطريقة أو بأخرى المعنى من النص الأصلي الغائب، لكنها لا تأتي به مقتبسًا كما هو، إنما تُحْسِن توليفه بطريقة إبداعية تتناسب مع رؤيتها وفكرتها في نصها، وهذا يعطي كثافة هائلة في المعنى وجمالية في الطرح، فمن توظيف الشاعرة لأسلوب التناص، قولها(١):

أنا لن أُكفّن رَعَشاتِ حبكَ..
لكن سأشرق مع كل نبض..
أسرب نحو جزيئات شوقي تفاصيل طيفك..
أمسحُ وجهَ الأماني برفقٍ..
أُسلّحُ توقي .. بإيمان رُوحٍ..
وصبرٍ جميلْ..
وصبرٍ جميلْ..

تتناص الشاعرة في آخر المقطع مع الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (٢)، فالآية القرآنية جاءت على لسان سيدنا يعقوب؛ ليعبر عن تحمله غياب وفقد ابنه يوسف عليه السلام، والشاعرة هنا قامت بالضرب على وتر المعنى متسلحة بلفظ (صبر جميل) أملًا في عودة الغائب.

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ١٨
(٢) سورة يوسف، الآية ١٨

وفي قصيدة (دثار الحروف) قامت الشاعرة بتوظيف تناص آخر في قولها[١]:

لو تعلمين أي حزن يبعث الشتاء ؟!

فالتناص جاء مع نص (أنشودة المطر) للسياب من خلال استدعاء تجربة الغياب والفقد، في قوله[٢]:

أتعلمين أي حزن يبعث المطر؟

فالسطر السابق في نص الشاعرة سحب الظلال الدلالية الوارفة المعبرة عن الحزن والألم عند الغياب من النص الأصلي.

(١) أحلام منصور القحطاني ، أروقة الغياب ، ٦٤

(٢) بدر شاكر السياب ، ديوانه، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، د.ط، ٢٠١٦م، ١٢٢

الخاتمة

تطرقت الدراسة لجدلية الحضور والغياب في ديوان (أروقة الغياب) للشاعرة أحلام منصور القحطاني، ويمكن أن نجمل أبرز النتائج التي تم التوصل إليها:

- تجلت جدلية الحضور والغياب في فضاءات مختلفة؛ مما يثري الدلالة ويعزز المعنى، وهذه التقاطبات جاءت متعالقة مع بعضها البعض كلّ يحيل إلى الآخر.

- عبرت الشاعرة في فضاء الذات عن حضور ذاتها واستقلاليتها بالضمائر المنفصلة والمتصلة، بينما كان توظيفها للغياب مقننًا بعيدًا عن الذات بصفة مباشرة.

- ارتبط فضاء الأنثى في الديوان بحقيقة الحضور والغياب للأنثى في حياة الشاعرة، وتمثل ذلك في الجدة والأم والأبنة، ونحى نحو نزعة إنسانية تتعالق فيها مع جدلية الحياة والموت.

- تباينت مواقف الشاعرة في فضاء الرجل عند الحضور والغياب، من خلال جانبين مهمين، أولهما: إبراز كينونة المرأة حتى عند غياب الرجل، وثانيهما: عدم إقصاء الرجل وحرصها على حضوره في حياة المرأة.

- كشف فضاء المشاعر عن شفافية مطلقة وحس رهيف، حرصت فيه الشاعرة على تجلية المشاعر الإنسانية كالحب والحنين والشجن.

- نجحت الشاعرة في توظيف جدلية الحضور والغياب في فضاء الزمان والمكان، والاستفادة من تحولاتهما، وإظهار مدى ارتباطهما بالإنسان، كما ازدادت الذكريات سطوعًا وتأثيرًا في ذاكرة الشاعرة ونفسيتها من خلال هذا الفضاء.

- برز في فضاء اللغة أسلوبا الاستفهام والتناص، فتارة تحضر الأسئلة وتغييب الإجابة، وتارة أخرى تحضر الأسئلة والإجابة في ذات السطر الشعري، بينما كان التناص استدعاءً بطريقة أو بأخرى للمعنى من النص الأصلي الغائب، وترك المجال مفتوحًا للمتلقي لسد ثغرات المعنى، وإشكاليات الحضور والغياب.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- بسام قطوس، تمنع النص متعة التلقي: قراءة ما فوق النص، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.
- أحلام منصور القحطاني، أروقة الغياب، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٤٣٥ هـ -٢٠١٤م.
- عبد الله إبراهيم وآخران، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢ ،١٩٩٦م.
- يمنى العيد، الرواية العربية، المتخيل وبنيته الفنية، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بيروت، د.ط، ٢٠٠٠م.
- عبد الحميد المحادين، جدلية المكان والزمان في روايات عبد الرحمن منيف، مؤسسة الهداية للنشر، البحرين، د.ط، ١٩٧٧م.
- طاهر عبده مسلم، عبقرية الصورة والمكان، دار الشروق، عمان ،٢٠٠٢م.
- حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي: قراءة موضوعاتية جمالية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د.ط،٢٠٠١م.

بدر شاكر السياب، ديوانه، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، د.ط، ٢٠١٦م.